تعميم الفصحى بتفصيح العامية

للأستاذ على رجب المدنى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

حضرات الزملاء الاجلاء :

إن ما احتوته هذه الورقات المكتوبة لا يعدو أن يكون خلاصة لبحثى الذى أرجو أن أتمكن من الإضافة إليه شفوياً أثناء أو فور إلقائه بما لا يتجاوز ما يسمح به الوقت المحدد ، كما أرجو أن يكون في المقترح الذى تضمنه ما يؤهله لشرف استماعكم وتقبلكم ومناقشتكم .

حضرات السادة :

إن من أبرز منجزات مجمعنا العظيم باللغة العربية ما قرره من اتخاذ موضوع العامى الفصيح الموضوع الأهم فى كل من دورتي مؤتمره السادسة والخمسين والسابعة والخمسين .

وكان من أهم ما تضمنته توصياته فى الدورة السادسة والخمسين تلك التوصية التى نادت بضرورة استكمال بحث هذا الموضوع فى مؤتمرنا هذا السابع والخمسين .

ولقد كان لى شرف التقدم فى الدورة السابقة باقتراح تشكيل لجنة أرى أن تكون على مستوى البلاد العربية وغيرها من البلاد التى تستعمل فيها اللغة العربية مثل مالطة وبعض الدول الإفريقية والآسيوية تضم نخبة مختارة من ذوى الخبرة المهتمين بأمر الربط بين المفردات العامية المتداولة وأصلهاالعربى الفصيح .

ويسعدنى اليوم أن أعود للحديث فى موضوع هذه اللجنة وطريقة تشكيلها ومنهج عملها والأهداف المرجوة منها .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الأثنين ٣ من شعبان سنة ١٤١١ هـ الموافق ١٨ من فبراير سنة ١٩٩١م .

إن من الضـــــرورى لربط الصلة بالمتخصصين فى هذا المجال بكل من البلاد التى أشرت إليها أن يستعين مجمعنا بالمجامع الشقيقة فى البلاد التى تحقق لها تأسيس مجامع . أما غيرها من البلاد التى لم يتسن لها بعد تأسيس مجامع فأرى من الأيسر الاتصال بوزارات التعليم والثقافة فيها ، وبما يتيسر التعرف عليه من جمعيات تعنى بشؤون اللغة والفكر ، وذلك بغية الحصول على قوائم بمرشحين أكفاء يتم ضمهم للجنة العامة المقترحة التى يقتصر عملها فى بادئ الأمر على صياغة برنامج عمل تسير على هديه ، ثم يتم تقسيمها إلى عدد من اللجان الفرعية التى يناط بها حصر المفردات العامية التى تتكون منها اللهجات المختلفة فى البلاد المعنية ، على ان تعقب عملية الحصر هذه عملية تحر عن منشأ تلك المفردات ومدى صلتها بالعربية الفصحى ومدى التحريف الذى لحق بها وطبيعته من جرّاء الاستعمال الدارج ، ثم يلى ذلك إفراغها فى جداول تتضمن تلك المفردات بنصها العربى الأصلى مقابلا للنص الدارج ثم بالنص الذى يمثل حدا أدنى لما يقتضيه تداولها المشترك كنص فصيح .

أما المرحلة الأخيرة فإنها تقتضى عودة اللجان الفرعية إلى انعقادها كلجنة عامة واستعراضها لما أنجزته اللجان الفرعية ثم اعتمادها النهائى للنصوص المختارة ، وتوصيتها بإصدارها فى قاموس مبسط يسهل تداوله لدى مختلف طبقات المجتمع العربى ومستوياته الفكرية والتعليمية ، تداولاً من شأنه أن يمكّن كل جزء من عالمنا العربى من التعرف على حقيقة الصلة بين ما هو متداول لديه من مفردات وبين اللغة العربية الفصحى ، ويكون من شأنه أن يمكن كل جزء من التعرف على ماهو متداول فى الأجزاء الأخرى من مفردات ذات منشأ فصيح امتدت إليه يد التحريف عن طريق أساليب النطق المختلفة والمنعزلة ذهنيا عن اللغة الفصحى ، وبذلك يتاح لكل جزء من عالمنا العربى أن يكتشف بسهولة اتحاد مضامين المفردات

المتـداولة فى كل بلد بعـد أن يكتـشف اتحاد نصوص تلك المفردات التى لم يحل دون إدراك حقيقة اتحادهـا غير اختلاف أسلوب النطق بها .

ومن شأن ذلك كله أن يمهد لإخضاع تلك المفردات (على نحو تدريجى تمارس فيه مختلف وسائل التوعية والتوجيه) لضـوابط الإعـراب فى أبسط صـورها وبأقصى ما يمكن من التيسير للقواعد المقررة .

وعلى هذا النحو يمكننا أن نبدأ رحلة الألف ميل لتحقيق حلم أجيال الدعاة والمصلحين فى أمتنا العربية الكبرى فى أن تستعيد مجد تخاطبها بلغتها الفصحى المشتركة ، وترتبط بتراثها المشترك ارتباطا تبدد به أوهام من حلموا بتمزيقها وأضعافها من خلال غزو لغتها وطمس معالم فصحاها فى أوساط عامتها ، وإيقاعها فى مجاهل العامية والتغريب ، والانفصال عن ماضيها ، وتناكر أبنائها بدلا من تعارفهم .

وأرى أن أشير إلى أن منهج عمل اللجان المقترحة يقتضى بالضرورة أن تضم فى عضويتها أناسا ليسوا متمكنين فى الفصحى ولكنهم متمكنون فى الأدب الشعبى فى مختلف أجزاء الوطن العربى تمكنا يؤهلهم لأن يساعدوا على التعريف بمضامين المفردات التى تتداول فى محيطهم سواء فى الأدب الشعبى أو فى مجالات التخاطب العامى ، إذ أن هذه الفئة سيكون لها دور التعريف بالمفردات المتداولة ، التى سيؤدى التعرف على مضامينها المستهدفة ممن ينطقونها إلى سهولة التعرف على ارتباطها بالأصل العربى ، وإعادة صلتها به على النحو الذى ذكرت . لقد أكد الاستقراء والاستماع والتحرى فى كافة أجزاء الوطن العربى وأوساطه الشعبية التى تنطق بلهجات عامية تتفاوت تقارباً وتباعداً أن نسبة لا تقل فى المتوسط عن ثمانين فى المئة من المفردات المتداولة هى ذات صلة بأصولها الفصحى ، ولئن كانت أساليب النطق تلعب دورها فى تحديد درجات الصلة والوضوح ، فإنها بكل تأكيد مستمدة من تلك الأصول الفصحى،

وبقليل من نفض الغبار المتراكم يمكن أن تزداد صلتها بالفصحى وضوحا ، وتتهيأ لتفصيحها وإدماجها في دورة التخاطب السليم الذى يهيىء للتمازج والتفاهم المرجوين بين تلك الأجزاء ، التى ما برح ذوو النيات السيئة يحرصون على استمرار انفصالها وتباعدها .

أما فيما يخص المفردات التى لا يتسنى اكتشاف أصل عربى لها ، فإن على اللجنة أن تبحث مدى قابلية اللغة الفصحى لاستيعاب ما يمكن استيعابه منها كمولد ، ونبذ ما لا تسمح طبيعته أو تفاهة مضمونه أو تعارضه مع النصوص الفصحى المتداولة نبذا صريحا يتمثل فى التحريض على إهماله بمختلف وسائل التحريض ، مما سيؤدى إلى تنقية الفصحى من الشوائب التى من شأنها أن تشوه جلالها .

وختاماً أكرر رجائى أن يكون بين عناصر هذا المقترح ما يستحق أن يطرح للمناقشة وسماع مختلف الآراء بشأنه على نحو يمكن من إنضاج تلك العناصر وجعلها جديرة بالاعتماد والتنفيذ .

والله ولى التوفيق ،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

على رجب المدنى

عضو المجمع من ليبيا